الدراسات العربية

في اميركا[1]

للأستاذ فرحات زيادة

في الولايات المتحدة اليوم نزعة قوية الى درس اللغة العربية والحضارة الاسلامية والنواحي المتعددة من حياة الأمة العربية من ثقافية وسياسية واجتماعية واقتصادية . ودرس هذه العلوم لا يوازي درس العلوم الأخرى من حيث عدد الطلبة وعدد المعلمين وعدد الدوائر التي تختص في هذه الناحية بالجامعات ومعاهد العلم الأخرى . فدرس اللغة العربية لا يوازي في الأهمية درس اللغات الاوروبية مثلاً . ولكننا إن قابلنا اهتمام الأمريكيين بالدراسات العربية في هذه الايام باهتمامهم فيها قبل عقد واحد من السنين لبرز الفرق واضحاً جلياً ، ولا عجب المرء بهذه السرعة في تناول هذه الناحية من الحضارة العالمية واشباعها بحثاً ودرساً يكاد يوازي الجهود الكبيرة التي قام بها المستشرقون الاوربيون في قرنين من السنين .

قبل هذه النهضة الأخيرة لم يكن للدراسات العربية نصيب ذو بال في الولايات المتحدة ومع أن عدة جامعات أقامت كراسي فيها للغات السامية وآدابها تمثلاً بجامعات أوروبا ، فان جهود المترابعين على تلك الكراسي توجهت نحو الدراسات العبرية القديمة المتعلقة بالتوراة وبدرس الحضارة الأشورية القديمة .

وقد عرضت أحياناً بعض الدروس العربية ولكن الباعث حتى ذلك لم يكن رغبة ملحة في درس هذه اللغة بل كان هذا الباعث مقابلة العربية باللغات السامية الأخرى كيما يستطيع العلماء أن يحسنوا تفهم الكتابات العبرية والآرامية والسامية الأخرى . ولم يفكر أحدهم في اتقان اللغة العربية كيما تصبح لديه اداة فعالة للبحث والتنقيب في مكونات الحضارة الاسلامية وقيل أن حوالي سنة ١٨٨٠ عندما كتب أحد الطلاب أطروحة في جامعة هارفورد عن موضوع عربي اضطر الى ارسال تلك الأطروحة الى استاذ السنسكريتية في جامعة «ييل» لانه كان الاستاذ الوحيد في أمريكا الذي يلم بالعربية . وكان من الطبيعي أن تتجه جهود

١) حديث من محطة صوت أمريكا للأستاذ فرحات زيادة خص به المقتطف

المستشرقين بين الأمريكيين الى العبرية والآرمية قبل العربية ، وذلك لأسباب منها صلة الأولى والثانية بالتوراة وبالعهد الذي كتبت فيه التوراة ، ومنها أيضاً أنه يسهل نسبياً على المرء تعلم العبرية والآرامية والأشورية لقلة عدد كلماتها والكتب المكتوبة بها بالنسبة للعربية ذات التاريخ الطويل والصرف المتعب والألفاظ الواسعة .

ومن ناحية أخرى ورث الأمريكيون تلك النظرة الأوربية التي كانت تحسب الثقافة الأوربية الأصل أسمى ما وصل اليه الانسان، وان تلك الثقافة هي الحرية بالدرس والعناية اكثر من غيرها . فكان من الطبيعي ألا تنال الثقافات العالمية الأخرى ومنها العربية اهتماماً كبيراً . وزد على ذلك أن بعض القصص الغرامية والأفلام السينمائية كانت ولا تزال في بعض الأحيان تصور الحياة العربية بشيء من الغرابة والهمجية مما أدى في بعض الأوساط الجاهلة الى الحط من منزلة الحضارة العربية ، وبالتالي قلة الاهتمام بدرس نواحيها المختلفة .

ثم إن طريقة التدريس العربية كانت عقيمة الى درجة كبيرة لأنها اتبعت طريقة تعلم اليونانية القديمة واللاتينية وغيرها من اللغات الميتة . فلم يلتفت المعلمون إلا الى اللفظ الصحيح والى نبر الكلم والى الأدب القديم ليس إلا . وكان تدريس العربية يقدم لطلاب الدكتوراه في كليات المتخرجين فقط في محيط ضيق محدود ولم يحلم أحدهم بتدريس هذه اللغة لطلبة البكالوريا كتدريس أية لغة أخرى كالفرنسية والألمانية كما تتسع آفاق الطالب ويصبح ملماً بشئون قسم كبير من العالم يتكلم هذه اللغة ، وقسم اسلامي يعد هذه اللغة أفضل لغة على الارض لكونها لغة السماء .

أما الجامعات التي تقدم دروساً عربية في قسم المتخرجين فهي جامعة كاليفورنيا ، والجامعة الامريكية الكاثوليكية وشيكاجو وكولومبيا وهارفورد وجونز هوبكنز وميشيجان و بنسلفانيا ورنستون ويبل . على انه في السنين الأخيرة أخذت فكرة جديدة تستولي على الأوساط العلمية وعلى القائمين على شؤون الجامعات ومعاهد التعليم في أمريكا وهي أن البلدان العربية خاصة وبلدان الشرق الاوسط عامة لم تنل حتى الآن نصيبها من الدرس الذي يتناسب مع أهميتها العالمية ليس فقط في ميدان الاقتصاد والسياسة بل وفي ميدان الثقافة والحضارة العالمية ، وربما كان الوازع الى هذه الفكرة أن روح الانعزالية التي كانت مسيطرة على أمريكا قد زالت بعد حربين عالميتين خاضتهما فاتسعت الآفاق وأخذت هذه البلاد تعتقد أن هذا العالم انما هو وحدة وثيقة العرى على أي فرد ينتقص فيه ان يلم بحضارات العالم الأخرى كي يسهل التفاهم بين الأمم ويتم التعاون بينها على أسس متينة .